مجلة (لغة – كلام) تصدر عن مخبر اللغة والتواصل- جامعة غليزان / الجزائر
ISSN : 2437-0746 / EISSN: 2600-6308
رقم الإيداع: 2015 - 3412
مصنفة ج : قرار1432 بتاريخ 2019/08/13
http://www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/176
المجلد 10/ العدد: 03- جوان (2024)

تاريخ الاستلام: 2023/09/04 تاريخ القبول: 2024/05/22 تاريخ النشر: 2024/06/30

مؤشرات الإنجاز بالشعر العربي الحديث
قصيدة "توافقات" للشاعر صلاح عبد الصبور أنموذجًا

✍ بن حواء مريم [1]
benhaoua.meriem@cu-tipaza.dz
مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية التعلمية في الجزائر
المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة/ الجزائر

✍ عموري السعيد [2]
said_amo@yahoo.com
مخبر الممارسات الثقافية والتعليمية التعلمية في الجزائر
المركز الجامعي مرسلي عبد الله تيبازة/ الجزائر

Indicators of achievement in modern Arabic poetry
The poem “Concordances” by the poet “Salah Abdel Sabour” as a model

✍ benhaoua meriem
benhaoua.meriem@cu-tipaza.dz
University Morsli Abdellah Tipaza /Algeria

✍ amouri said
said_amo@yahoo.com
University Morsli Abdellah Tipaza /Algeria

[1] المؤلف المرسل : بن حواء مريم

ملخص البحث

تعنى المقاربة التداولية بالكشف عن الوظيفة الإنجازية الكامنة في الخطاب اللّغوي، عبر إبراز مختلف العلاقات القائمة بين علاماته ومستعملها ضمن سياقات استخدامها المختلفة، وما تنتجه من أثر بذات متلقيها وعالمه الخارجي؛ إذ تعنى بدراسة اللّغة أثناء استعمالها معتبرةً إياها لم توجد لوصف العالم فحسب، و إنما كذلك لتشكيله وتغييره؛ معتنين بتلك السنن اللغوية ذات القوة الإنجازية المتحققة بمجرد التلفظ بها، والتي لا يمكننا الإمساك بدلالاتها بغير قراءتها ضمن سياقات استعمالها؛ وقد شكل البحث بهذه السنن إحدى أهم مسارات المقاربة التداولية وأولى نظرياتها "الأفعال الإنجازية".

من هنا كان هدف ورقتنا البحثية هذه الوقوف عند الأبعاد الإنجازية للسنن اللّغوية بخطاباتنا الشعرية العربية الحداثية، وبيان أهميتها في بنائها وتوجيه مسارات تلقيها؛ مختارين قصيدة "تو افقات" للشاعر المصري "صلاح عبد الصبور" أنموذجًا، لزخرها بهذه العناصر؛ متسائلين: كيف يتجل الجانب الإنجازي التداولي في الخطابات الشعرية العربية الحديثة من خلال جانبيها الشكلي والدلالي؟ وما مدى تأثيره ببنائها وتلقيها؟

ولقد توصلنا لعدة نتائج أبرزها: أن أنماط المؤشرات الإنجازية بأنموذج دراستنا تربطها علاقة سببية تكاملية، رغم تنوع واختلاف أفعالها الإنجازية والتأثيرية، تبعا لمقصدية مبدعها وسياقاتها التلفظية.

الكلمات المفتاحية: مؤشرات الإنجاز؛ اللغة الشعرية؛ مقاربة تداولية؛ الشعر الحديث؛ صلاح عبد الصبور.

ABSTRACT:

The pragmatic approach is concerned with revealing the performing function inherent in the linguistic discourse, by highlighting the various relationships that exist between its signs and their users within the different contexts of their use, standing at those linguistic norms that have the achievement power by simply pronouncing them, and whose implications cannot de grasped without reading them within the contexts of their use. Accordingly, the research in this field is one of the most important paths of the Pragmatics approach and its first theory "Achievement Acts".

From here, the aim of our research paper is to stand at the achievement dimensions of the linguistic norms in our contemporary Arabic poetic discourses. For this we have chosen the poem "Consensus" by the Egyptian poet "Salah Abdel Sabour" as a model, due to s abundance of these elements asking the following question: How do the performing elements transformed the poetic discourse from its semantic function _referral to a reference_ to their constructive deliberative function that forms and transforms the world?

We have reached several results, the most important of which is: The patterns of achievement indicators in our study model are linked by a complementary causal relationship, despite the difference in their achievement and influence actions, Depending on the on the intention of and its verbal contexts.

Keywords: indicators of achievement, pragmatic approach, contemporary poetry, Salah Abdel Sabour.

1.مقدمة:

تتسم الخطابات الشعرية العربية بقوتها الإنجازية، الكامنة وراء تراكيبها اللّغوية وبنياتها الجمالية المتعالقة بسياقاتها المقامية؛ لعكسها لِرؤى ومقاصد مبدعها المتغي تغيير عالمه الخارجي وَالسمو به عبر التأثير بمتلقيها وحمله على الإنجاز، بواسطة لّغة شعرية جمالية إيحائية يمكن أن تجعل وقع خطاباته أقوى وأكثر تأثيرًا بذواتنا لملامستها لوجداننا وتحريكها لعواطفنا.

نحاول من خلال هذه الدراسة الكشف عن تلك القوة الإنجازية المتضمنة بالخطابات الشعرية العربية الحداثية، عبر التركيز على المؤشرات الإنجازية بقصيدة "توافقات" للشاعر "صلاح عبد الصبور"، منطلقين في مقاربتنا لها من سؤال جوهري فحواه: كيف يتجل الجانب الإنجازي التداولي في الخطابات الشعرية العربية الحديثة من خلال جانبيها الشكلي والدلالي؟ وما مدى تأثيره ببنائها وتلقيها؟

إننا ومن خلال تطبيقنا لآليات نظرية "أفعال الكلام" لكل من "جون اوستن" وتلميذه "جون سول"، نحاول أن نبرز القوى الإنجازية الكامنة بالشعر العربي الحديث، وتبيان مختلف تجلياتها بسننه اللّغوية والدلالية.

اخترنا للوصول إلى مقاربتنا خطة منهجية لم نلج فيها عمق الجانب النظري عن النقد التداولي، بقدر ما ركزنا على التعريف بعنصر الدراسة المنهجي (الأفعال الإنجازية)، ثم حاولنا الكشف عن تجلياته بأنموذج دراستنا عبر توقف عند مختلف الأنماط الواردة به: المؤشرات الإفصاحية؛ المؤشرات الإخبارية؛ المؤشرات التوجيهية.

2. مؤشرات الإنجاز بالنقد التداولي:

تعتبر التداولية مجموعة من النظريات القائمة أساسا على دراسة الآليات والإستراتجيات التخاطبية بالملفوظ اللغوي؛ بغية فهم لغته في سياقات استعمالها المتجددة والوصول إلى ما تحتويه من دلالات عاكسة لمقاصد مبدعها ورؤاه من جهة، ومؤثرة في متلقيها وعالمها الخارجي من جهة أخرى؛ إذ أنها تعنى بدراسة« القول منزلًا في المقام المعين، وتؤكد أثر المعرفة الغير اللّغوية في تأويل الأقوال وفهم المقاصد. قائمة قضية جوهرية بالنسبة إلى التداولية تكمن في تحيد العلاقات بين هذين المقامين: الداخلي والخارجي للعبارة»[1]، جامعةً بذلك بين البحث في كل من البنية اللّغوية والبنية السياقية والبنية الوظيفية للأثر اللغوي؛ فالدراسات التداولية تنطلق من وصف وتحليل دلالات علاماته اللّغوية وغير اللّغوية كاشفة عن جماليات تشكيل بنيته؛ إلى تحديد العلاقات القائمة بينها وبين مؤولها_ المتلفظ والمتلقي_ قصدًا وتأثيرًا؛ وبينها وبين مختلف السياقات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية والعقائدية... التي تشكلت بها أو تستعمل ضمنها؛ وصولًا إلى المعنى الكامن وراءها؛ لتحدد بعد ذلك الغاية المرجوة منها والأثر الناتج عنها بذات متلقيها ومحيطه الخارجي؛ حيث « أن قضية التداولية هي "إيجاد"

القوانين الكلية للاستعمال اللغوي والتعرف على القدرات الإنسانية للتواصل اللغوي»[2]؛ وعليه فإن المنهج التداولي يلم ويحيط بثلاثي الأثر اللغوي _المتكلم؛ الكلام؛ المستمع_؛ حيث أنه لا يتعامل مع هذا الأثر باعتباره نصًا يستوقفه مستواه التركيبي والدلالي فقط؛ ولا بوصفه رسالة يستوقفه مستواها التداولي فحسب؛ وإنما بوصفه خطابًا تستوقفه لغته ودلالاتها قبل أن تحيله على معانيها وَتداوليتها بين منشئها وَمستقبلها في سياقات نظمها واستقبالها؛ إذ أن« الكلام بالنسبة إليها أكبر من أن يكون مجرد تطبيق للسان، فهو توظيف لشفرات غير لسانية إلى جانب الشفرات اللسانية من أجل توليد مؤشرات تربط الجسور بين الدلالة المجردة في الملفوظ الملموس بالدلالة الضمنية التي ترتبط بسياق التلفظ»[3]؛ وَآلياتها تتعدى حدود دراسة الكفاءة اللّغوية إلى دراسة الأداء اللّغوي، وتخرج من نطاق التعامل مع النظام التجريدي للّغة إلى الكشف عن استخداماته ووظائفه المختلفة؛ بغية إبراز القوة الإنجازية به؛ عبر التوقف عند مختلف التلميحات والتصريحات الكامنة بتسنيناته اللّغوية من أفعال وأساليب إنشائية وإخبارية، وحروف معاني...؛ وهي ما نطلق عليه الأفعال الإنجازية أو الأفعال الكلامية بالدرس التداولي العربي.

تأسست نظرية أفعال الكلام على يدي الفيلسوف البريطاني "جون أوستن" (John Austin)، ونضجت على يدي تلميذه "جون سورل" (John Searle)، مشكلةً البؤرة الرئيسية التي انبثقت منها المقاربات التداولية؛ حيث أنها تمثل أولى نظرياتها والمنعطف الرئيسي الذي غير زاوية رؤيا اللسانيين والنقاد للخطاب اللّغوي من كونه نسق شكلي منغلق على ذاته، ينبغي قراءته بمعزل عن سياقاته الخارجية وإن كان واصفًا لها، إلى كونه نسق لّغوي مؤثر ومشكل لهذه السياقات وَمتأثر بها يجب دراسته ضمنها، وإبراز العلاقات القائمة بينهم؛ فاللّغة حسبهم« لا تصلح فقط للإخبار أو تمثيل الأشياء أو العالم، بل أيضًا لإنجاز الأفعال؛ فالتكلم يعني الإنجاز»[4]؛ وعليه لا ينبغي الاحتفاء بالكفاءة اللّغوية للخطاب اللّغوي والكشف عنها ودراستها فحسب؛ وإنما ينبغي تجاوزها للبحث عن تجليات القوة الإنجازية الكامنة ضمنها؛ عبر الاعتناء بجانبها الأدائي الوظيفي إلى جانب جانبها الوصفي الإخباري؛ لاحتوائها على« أفعال مسيرة وفق مجموعة من القواعد بعضها كلية، حسب هابرماس Habermas من شأنها تغيير وضعية المتلقي وتغيير منظومة معتقداته أو وضعه السلوكي»[5] من خلال قوة إنجازية يحققها الفعل الكلامي؛ فكثير من الأفعال _كالعهود والعقود والتسمية والتبرئة...وغيرها_ تنجز عبر قوة الكلمات، بل ولا يمكن إنجازها عبر أي قوة أخرى بشرية كانت _جسمية، ذهنية_ أو طبيعية _هوائية، شمسية، مائية_ أو حتى صناعية _كهربائية، ميكانيكية_؛ حيث أنها نتاج« ملفوظ ينهض على نظام شكلي دلالي إنجازي تأثيري وفضلًا عن ذلك، يُعد نشاطًا ماديًا نحويًا يتوسل أفعالًا قولية Actes Locutoires لتحقق أغراض إنجازية Actes Illocutoires، وغايات تأثيريةActes Perlocutoires تخص ردود فعل المتلقي»[6]؛ فهذه النظرية تعنى بمقاربة اللّغة أثناء الاستعمال رابطةً نسقها التركيبي بسياقاتها الخارجية وخلفيات متلفظيها؛ بغية الكشف عن فاعلية تلك الألفاظ المحملة بثقل دلالي عاكس لمقاصد مبدعها من جهة، ومنشئ لمحيطها

الخارجي ومؤثر بمتلقيها من جهة أخرى؛ ولتحقق ذلك لابد لها أن تحتوي على مجموعة من الخصائص والسمات _الشروط_، تخرجها من وظيفتها الإعلامية كمؤولات تصف العالم إلى وظيفتها التداولية الإنشائية المشكلة له والمغيرة به؛ فالفعل الكلامي بالدراسات التداولية حسب "سورل"« أوسع من أن يقتصر على مراد المتكلم، بل هو مرتبط أيضا بالعرف اللغوي والاجتماعي»[7]، مما يجعل أدائه بشكل صحيح مرهون بتوفر شروط أساسية ثلاثة، يؤدي الخلل بإحداها إلى فشل الملفوظ أو أدائها بشكل خاطئ، ويمكن اختزال هذه الشروط الثلاث كالأتي:

1.2 المقصدية :

تعد المقصدية جوهر الفعل الكلامي وبؤرته الرئيسية التي تنبثق منها قوته الإنجازية، محددةً دلالاته ومنوعةً بها؛ إذ أن تنوعها« ليس محكوما بشكلها اللغويّ، بل محكوما بقصد المرسل، بالدرجة الأولى، من خلال الموائمة بين الشكل اللغويّ المناسب وبين العناصر السياقية»[8]، مما يستدعي من المخاطَب الموازنة بين النسق اللّغوي لخطابه وبين سياقاته التلفظية المختلفة من جهة، والخلفيات الثقافية لمتلقيه من جهة أخرى، وفق ما يناسب مقاصده ويحقق غاياته منه، إذ أن الأفعال الكلامية يجب أن تكون مناسبة لسياقاتها التلفظية، وَواضحة المعاني بذهن متلقيه، ليتحقق مراد المتكلم منها وتتجلى بها مقاصده.

2.2 المواضعة والتعاقد:

تنعكس الأعراف اللّغوية السائدة بجماعة الناطقين بها المنتمين لنفس الحيز الاجتماعي والثقافي على دلالات الألفاظ اللّغوية، مؤثرة على قوتها الإنجازية ومحددةً لها؛ عبر إزاحتها لمفهومها المعجمي وتحميلها بمفهوم اصطلاحي تداول عليه؛ فالفعل الكلامي كغيره من الأبحاث التداولية« محكوم بأعراف لغوية واجتماعية وهو معني بكيفية وصول السامع إلى مراد المتكلم، وما يقدمه المتكلم من وسائل لغوية في سياق اجتماعي وثقافي معين ليساعد السامع على الوصول إلى مراده»[9]؛ مما يستوجب الإحاطة بالمواضعات والأعراف اللّغوية السائدة بجماعة ما قبل إنتاج فعل كلامي ذو قوة إنجازية فعالة ضمنها؛ إذ أن عبارة من قبيل "أنزل الستائر" مثلا تختلف قوتها الإنجازية من العرف اللّغوي السائد بـ"المنزل" إلى العرف اللّغوي السائد بـ"المسرح"، فتكون بالحيز الأول ذات دلالة مباشرة تفضي إلى الفعل الإنجازي الآمر بإنزال الستائر، في حين تحيل بالحيز الثاني على دلالة غير مباشرة تفضي إلى الأمر بإنهاء المسرحية؛ وكذا عبارة من قُبيل "رن الجرس" تختلف قوتها الإنجازية من عرف لغوي إلى أخر، فتفضي على الأمر بالاستيقاظ عند تلفظها بـ"المنزل"؛ في حين تحيل على الأمر بالانتباه لبداية الحصة أو وجوب المغادرة لانتهائها، عند استخدامها بـ"المؤسسات التعليمية التربوية"؛ وتجسد الأمر بوجوب إقامة الصلاة عند التلفظ بها في "المجتمعات المسيحية"؛ مما يفضي إلى أن نفس التركيب اللّغوي يحيلنا على أفعال إنجازية

متعددة بتعدد الإطار الاجتماعي والثقافي المحدد للعرف اللغوي الملقاة به؛ حيث تنعكس خصوصية هذا الإطار على كيفية إنجازها محددًا قوتها الإنجازية.

3.2 الحالية :

تعتبر الأفعال الإنجازية أفعال سياق اجتماعي، خاضعة لسلطة سياقات تلفظها الخارجية، ومتأثرة بحالة مستخدميها _متلفظًا ومتلقيًا_ الاجتماعية والسياسية والثقافية والعقائدية و...، إذ أن التركيب اللّغوي عاجز لوحده عن امتلاك القدرة على تغيير عالمه الخارجي وإنجاز الأفعال الملموسة به، ما لم يقترن بمستخدم يمتلك سلطة تحقيقه ومتلقيًا يتقبله في إطار زمكاني مناسب، حيث لو قال رجلٌ مثلًا لامرأة غير زوجته "أنت طالق" ما عنت شيئا ولا حققت بطلان زواجهما، ولو قال نفس العبارة لأمةٍ لديه لعنت عتقه لها من الرق، في حين لو قال تلك العبارة لزوجته سيلغى عقد زواجهما ويبطل؛ مما يوحي بارتباط دلالات الألفاظ اللغوية بسياقاتها التلفظية، وَوجوب «ضبط المعنى الخاص الذي يكتسبه الملفوظ أثناء فعل تلفظ جملة في وضعية سياقية معطاة»[10]، للوصل إلى القوة الإنجازية الكامنة به والكشف عنها؛ فالتركيب اللغوي الصحيح للمستخدم الجدير بالإطار الزمكاني المناسب شرط أساسي لنجاح أي فعل إنجازي وتحقيق الغاية المرجوة منه.

يتضح مما سبق أن مؤشرات الإنجاز "نظرية أفعال الكلام" من أهم مقولات الدرس التداولي، لاعتنائها بالجانب الإنشائي الوظيفي بالخطابات اللّغوية، ودراستها له ضمن سياقاته الخارجية ومقاماته التلفظية، مبينةً العلاقات القائمة بين بنياته الشكلية ووظائفها الدلالية وظلالها التداولية في إطاراتها التواصلية؛ لتشكل بذلك منعرجًا رئيسيًا بالدراسات اللغوية النقدية؛ مغيرةً زاوية رؤاها للخطابات اللغوية من كونها بنى شكلية معزولة عن عالمها الخارجية وإن كانت واصفة له، إلى كونها بنى شكلية متأثرة به ومشكلة له في آن واحد.

3. اللغة الشعرية (المؤشر وَلإنجاز) بقصيدة "تو افقات" للشاعر"صلاح عبد الصبور":

تطوق الخطابات الشعرية الحداثية قوة إنجازية كامنة وراء تراكيبها اللّغوية الفنية الجمالية، وَمتعالقة بسياقاتها المقامية المختلفة؛ تتجلى عبر خمس مؤشرات _أفعال_ سطرها "جون أوستن" بنظريته "أفعال الكلام" في: الحكميات، التنفيذيات، السلوكيات، التعهدات والعرضيات؛ ونقحها تلميذه "جون سورل" عند بلورته لهذه النظرية فغدت: التصريحيات، الوعديات، الإخباريات، الإفصاحيات والطلبيات؛ وهي تتفاوت من حيث وتيرة ظهورها بالخطابات الشعرية الحداثية، خاضعةً في ذلك لخلفيات وسياقات ومقاصد إلقائها، إذ أنها عاكسة ومقدمة لها في إطار لغوي لساني؛ وَقد ظهرت بمدونة دراستنا قصيدة "توافقات" للشاعر "صلاح عبد الصبور" كتالي:

1.المؤشرات الإفصاحية "Expressives":

تتجلى المشاعر الكامنة بالخطابات الشعرية لمتلقيها متلبسةً بوجدانه عبر الأفعال الإفصاحية؛ فهي « أفعال تعبر عن حالة نفسية تعينها شروط الصدق حول واقعة ما يحددها المحتوى القضوي للجملة»[11]، والصدق هنا لا نعني به مطابقة القول لما هو كائن بالخارج وإنما صدق ما تحويه وتعكسه البنى اللغوية من مشاعر وخلجات نفسية تجول بذات مبدعها لمتلقيها؛ فقولنا لعبارة من قبيل "أشكرك" لا تحيل على مرجع كامن بالواقع تكون صادقة إن وجد وكاذبة بغيابه، وإنما على شعور فعلي بالامتنان يحيل غيابه على كذب العبارة، محملا إياها بدلالات مناقضة تمامًا له كالخذلان والاستهزاء...، وَيتحدد فحواها بدقة من خلال ربطها بسياقاتها التلفظية المختلفة.

يظهر هذا النمط من الأفعال الإنجازية بأنموذج دراستنا قصيدة "توافقات" للشاعر "صلاح عبد الصبور" منذُ أول سطر بها؛ متجسدًا ضمن فاتحتها النصية المحملة بقوة إنجازية كاشفة عن المشاعر الكامنة بذات مبدعها، والمؤثرة بمشاعر متلقيها مغيرةً إياها، من خلال قولها:

«يعتريني المزاج الرمادي، حين تصير
السماء، رمادية، تذبلُ
شمس الأصيل، وتهوي على خنجر
الشجرِ، النقط الشفقية تنزفُ
منها، تموت بلا ضجة، ويواري
أضالعها العاريات الترابُ الرميم»[12]

يقدم الشاعر خلجاته النفسية وخفقاته الشعورية ضمن السنن اللغوية لهذه الفاتحة النصية في قالب مادي ملموس، يجعلها أكثر تجسدًا بذات متلقيها وأعمق ترسخًا بوجدانه؛ فمشاعر كالحزن والوحدة والتردد والتيه المتلبسة بروحه، تطوق عواطفنا وتتجسد بذواتنا حين يتراء لنا اللون الرمادي الواسم لمزاجه؛ لون الظل الناتج عن تمازج لونين متضادين: الأبيض _رمز النور والعدل والطهر_ واللون الأسود _رمز الظلام والظلم والرذيلة_؛ مما جعله باعثا على كل تلك المشاعر السلبية القابعة بروح شاعرنا "صلاح عبد الصبور"؛ والذي صرح بأنها مشاعر لحظية غير قارة مرتبطة بمرأى الغروب المحمل بها والمجسِد لها بأذهاننا وأرواحنا، إذ أنها تزول بزواله وتحول ملامح الكون لمظاهر الشروق المقدَمة لنا في قالب سينمائي فوتوغرافي« السماء ترابية_ مرجُ السماء جديبًا_صحراء تنحلُ فيها النجوم رملا»[13]؛ يجسدها بأذهان متلقيها محملةً بمشاعر الأمان والانتماء والاستقرار الناتجين عنها، وَالظاهرين عبر تأثيرات اللون الترابي المميز لمزاج الشاعر إبان معيشته لها؛ إلا أن هذا الترابط الجلي بين حالته الشعورية وتمظهرات عالمه الخارجي _الكون_ المتسم بالديناميكية والاضطراب وعدم الاستقرار، ولدّ بذاته شعورًا قارًا بالتوتر متجسدا على طول أسطر قصيدته "توافقات"، من خلال انبنائها على أسلوب التكرار بمختلف أنماطه: تكرار الألفاظ والعبارات، التكرار الطرفي، تكرار البدايات وتكرار التراكيب؛ المحيل على

قلق الشاعر واندفاع مشاعره واضطرابها؛ والتي يظهرها كذلك إيراده لنقطتي التوتر (..) أربع مرات بالمتن؛ مما يوحي بأن ذات الشاعر الوجدانية تعكس تمظهرات عالمه الخارجي _الكونية_ سواءً الآنية العابرة أو القارة الراسخة.

يتضح مما سبق أن الشاعر "صلاح عبد الصبور" يفصح عبر قصيدة "توافقات" عن ترابط حالته الشعورية، وما يجول بذاته من عواطف وأحاسيس _ومن خلاله الحالة النفسية لكل عربي_ بتمظهرات عالمه الخارجي؛ مفصحًا عن انسجام حالته الوجدانية مع سمات الكون حولها وانعكاس اضطرابه وتقلباته بها؛ مقدمًا أحاسيسه ومشاعره المختلفة في قالب مادي ملموس يجعلها أكثر تجسدًا بذات متلقيها وأعمق تأثيرًا بوجدانه.

2.3 المؤشرات الإخبارية "Assertives":

يقصد بها ذلك النمط من الأفعال الإنجازية المطابقة للواقع، المحيلة على تقارير وصفية إخبارية عن عالمها الخارجي، الخاضعة لميزان الصدق والكذب؛ حيث أن عبرها يُقَدم« تعهد المرسل _بدرجات متنوعة_ بأن شيئًا ما هو واقعة، وتعهده كذلك بصدق قضية ما»[14]، بغيت تسليط الضوء عليها لتعميمها أو تنميتها أو تغييرها...أو إشاعتها بين الناس؛ فالهدف الإنجازي المباشر من وراء هذه الأفعال يكمن في: الوصف والتوكيد والتقرير والإخبار، وقد ظهرت بأنموذج دراستنا موزعة بين محورين رئيسيين هما "محور الأنا ومحور الكون"، تتجلى عبرهما كتالي:

1.2.3 محور الأنا:

تتجلى عبره الأفعال الإخبارية المحيلة على وقائع وأحداث متعالقة بذات متلفظها، عاكسة لأخباره وأحواله الذاتية؛ وقد زخرت بها قصيدة "توافقات" لشاعر "صلاح عبد الصبور" نتيجةً لنبنائها على ضمير المتكلم المفرد "أنا"، إذ أنه أورد بمتنها العديد من الأفعال الإخبارية المقرة لواقعتين رأسيتين يعايشهما _واقعة الفقد وواقعة الانتظار_؛ يمكن الإمساك بخباياهم والكشف عنها عبر الوقوف عند دلالات قوله:

«يطلع الصبحُ، يطلع في صباحٌ
فلا باهرَ الضوء، أو مشرقَ
القسماتِ، ولكنه فارغٌ، الكلامُ
محارٌرخيص، وقلبيَ يفرغُ»[15]

يجرد الشاعر الصباح بهذه الأسطر من سمتيه الأساسيتين _الضوء الباهر، الإشراق_، مُفرغًا إياه من دلالاته المتداولة بأذهان القراء عن انجلاء الظلام وانحصاره لشروق الشمس وانتشار النور، المحيلة على رمزيته بزوال حقبة الحزن والألم والانكسار لحلول حقبة الأمن والازدهار والنماء مكانها؛ محملًا إياه بدلالة مناقضة تماما لها محيلة على عقم البدايات الجديدة، وتماثل الأزمنة الحاضرة مع

السابقة لثبات سماتهم وتشابهها، فحين يتجرد الصباح من سماته الأساسية يغدوا النهار المنير والليالي الدامسة سواء، في إيحاء واضح إلى أن الشاعر _ومن خلاله كل الأمة العربية_ يعيش حالة من الفقد للأمان والازدهار والنماء التواق لحلولهم مع كل بداية جديدة، واللتان تتجليان كذلك عبر أفعال إخبارية مباشرة بقوله:

«ها أنا أستدير بوجهي إليك، فأبكي
لأن انتظاري طال، لأن انتظاري
يطول، لأنك قد لا تجيء، لأن
النجوم تكذب ظني»[16]

استعان الشاعر في بناءه هذا المقطع من قصيدته "توافقات" بأفعال إخبارية مباشرة، يقر من خلالها حالتي الفقد والانتظار المعايش لهما، بعد أن أوردهما علي طول الأسطر السابقة ضمن أفعال إخبارية غير مباشرة« **موجٌ من اللحظات البطيئة يحملني/ ها أنا سائرٌ في الفصول...**»[17] ، مبنية على الإيحاءات الرمزية التي أكسبتها تأثيرًا أعمق وتجسدًا أقوى بذات متلقيها؛ إلا أنه هذه المرة يوردها بدون ستائر منهكة لعقول القراء تحليلًا وتأويلًا قبل بوحها بحمولتها الدلالية المفضية على وظائفها التداولية؛ مما يبرز توق الشاعر للإفصاح عن ما يعيشه من وقائع تتعالق مع ذاته، وتطرق ذهنه بقوة يظهرها تكراره للعبارات والأفكار المحيلة عليها.

يتضح مما سبق أن الأفعال الإخبارية تنوعت بمحور الأنا بين أفعال مباشرة، تبرز شدة توق الشاعر للإفصاح عما يعايشه من وقائع ملامسة لذاته ومؤثرة بوجدانه، وأفعال غير مباشرة تجسد ما يمر به بذات متلقيها؛ وقد أقرت كلتاهما حالتي الفقد والانتظار اللتان يعيشهما.

2.2.3 محور الكون:

هو ذلك المحور المنتمي إليه كل الأفعال الإخبارية المتعلقة بالوقائع والأحداث المرتبطة بالعالم الخارجي لمتلفظها _الوقائع الكونية_ المبرزة لأحواله وواقعه؛ وقد تجسدت بأنموذج دراستنا عبر قول الشاعر:

«وتمضي الحياة تعيد مداراتها،
والشموس النجوم تعيد استدارتها،
وروحي تعيد ولاداتها وحتضاراتها
والشموسُ النجومْ...»[18]

يقدم الشاعر من خلال هذه الأسطر صورة واضحة عن ركود الكون من حوله ورتابة أحداثه وَوقائعه؛ مستعينًا في تجسيدها على فعل إخباري مباشر واحد (تعيد)، كرر إيراده ثلاث مرات بثلاث أسطر متتالية؛ مما ساهم في تماسك المعنى وترسخه بأذهان متلقيه، إذ أن كل الأحداث والبدايات بهذا

الكون متشابهة، ذات مسارات موحدة، مُفضية على نفس النهاية المأساوية المؤدية لاحتضار الروح، وَشدة توقها لديناميكية جديدة بالأحداث الكونية تولد نهايات مغايرة وسعيدة.

والواضح مما سبق أن الأفعال الإخبارية الواردة بكل من محوري "الأنا" و"الكون" تربط بينهما علاقة تكاملية سببية، حيث أن الركود والرتابة بالأحداث والوقائع الكونية وإفضائها على الفناء، جعل الشاعر يعايش وقع الانتظار والفقد للحياة الآمنة والمزدهرة، المتولدة عن ديناميكية جديدة بتلك الوقائع محيلة على نهايات مغايرة مثمرة وسعيدة.

3.3 المؤشرات التوجيهية "Directives":

تتسم الأفعال التوجيهية بامتلاكها قوة إنجازية محفزة لمتلقيها على القيام بفعل ما أو تجنبه، عبر ما تحتويه من أوامر أو نواهي، دعوات أو لعنات...؛ حيث أن« غرضها الإنجازي محاولة المتكلم توجيه المخاطب إلى فعل شيء معين، واتجاه المطابقة فيها من العالم إلى الكلمات»[19]، مستعينة في ذلك بمختلف الأساليب اللّغوية من تعجب واستفهام وأمر ونداء ونهي...؛ متراوحةً بين اللين _الرجاء، الاقتراح، النصيحة_ والشدة _الوعيد، الأمر، النهي_؛ خاضعةً لسياقاتها الخارجية وخبرات مستخدميها وغاياتها التلفظية؛ وقد ظهرت بأنموذج دراستنا متشحةً بأسلوبي النداء والتعجب، كامنة وراء السنن اللّغوية بنداء الشاعر للزمن والحياة في قوله:

«والشموس النجومُ الأهلَّة، يا زمنًا
فاترًا، ياحياةً تجرب كيف تقلد صورتها
في الزمن البعيد القديم
ها أنا أستديرُبوجهي إليك، أيا زمنًا
ليس يوجدُ بعد، أيا زمنًا قادمنًا
من وراء الغيوم»[20]

إن المتأمل بالنداءات الواردة بالأسطر السابقة من قصيدة "توافقات" للشاعر "صلاح عبد الصبور" سيلامس بها قوة إنجازية طلبيه كامنة وراء إحالاتها التنبيهية، فقد حوت عبارة "**يا زمنًا فاترًا**" توبيخًا وذمًا واضحين يتجليان من خلال وسم الزمان بالفتور المحيل على الخمود والسكون وانعدام الحماس به، لدلالتها المعجمية على درجة حرارة الماء ما بين الساخن والبارد، مما يجعله مؤشرًا إلى أن هذا الزمن معتم يقف بمنتصف الأشياء دون سمات مميزة له، يؤكد على ذلك نداءه الموالي للحياة الساعية لتقليد صورتها بالزمن القديم؛ فليس للمقلد سمات أو صفات مميزة له، وإنما يتماها وينحل بأصله فلا يكُون له وجود أو ذكر منفصل عنه، وهو ما يخشى الشاعر وقوعه لزمانه، وَيحاول تلافيه عبر تضمينه لندائه "**أيا زمانًا ليس يوجد بعد**" بقوة إنجازية طلبية آمرة له بالتوقف عن سكونه وخموده، وتمتعه بالديناميكية والحركية لمواكبة تطورات عصره؛ فيحل به الأمن والازدهار والنماء الذي تنعمت بهم الأمم العربية في الزمن القديم الماضي؛ إذ أنه لم يعد هناك وقت أو سبب لهذه الرتابة والركود اللذان طالا به

حتى مل الشاعر _ومن خلاله كل الأمة العربية_ انتظار حدوث التغيير وساوره الشك في إمكانية وقوعه، يظهر ذلك عبر قوله:

«**انتظارعقيم !**

انتظارعقيم !

انتظارعقيم !»[21]

ولد تكرار الشاعر للعبارة التعجبية "**انتظار عقيم !**" ثلاث مرات متتالية، بثلاثة أسطر متوالية دون فواصل، تساءلًا جليًا بأذهان متلقيها عاكس لما يؤرق بال شاعرنا ويرهقه، فحواه: أنعايش انتظارًا عقيمًا؟ أو: أسيؤتي انتظارًا أكله؟ وهو تساءل غرضه ليس الاستفهام والبحث عن الأجوبة من لدن الغير؛ وإنما لفت انتباههم لاستعجال حدوث التغيير بهذا الزمان، حيث حمل في طياته قوة إنجازية طلبية آمرة بالتخلي عن الرتابة والسكون المتسم بهما.

4. خاتمة:

من خلال ما ورد تقديمه بورقتنا البحثية هذه نخلص إلى جملة من النتائج، نسوقها ونحن بآخر محطاتها في النقاط التالية:

تشكل مؤشرات الإنجاز إحدى أهم مقولات الدرس التداولي، لاعتنائها بالجانب الإنشائي الوظيفي بالخطابات اللّغوية، ودراستها له ضمن سياقاته الخارجية ومقاماته التلفظية، مبينةً العلاقات القائمة بين بنياته الشكلية ووظائفها الدلالية وظلالها التداولية في إطاراتها التواصلية؛ معتبرةً إياها بنى شكلية متأثرة بعالمها الخارجي ومشكلة له في آن واحد.

تعددت أنماط المؤشرات الإنجازية بقصيدة "توافقات" للشاعر "صلاح عبد الصبور" بين: المؤشرات الإفصاحية، وَالمؤشرات الإخبارية والمؤشرات التوجيهية، والتي ربطت بينهم علاقة سببية تكاملية رغم اختلاف وتنوع أفعالهم الإنجازية والتأثيرية، تبعًا لسياقاتهم التلفظية ومقصدية الشاعر منهم المتعددة بتعددهم.

عكست المؤشرات الإفصاحية الترابط القائم بين الحالة الشعورية للشاعر وتمظهرات عالمه الخارجي؛ مبرزةً انسجام حالته الوجدانية مع سمات الكون حوله؛ مقدمةً أحاسيسه ومشاعره في قالب مادي ملموس يجعلها أكثر تجسدًا بذات متلقيها وأعمق تأثيرًا بوجدانه.

توزعت المؤشرات التقريرية بأنموذج دراستنا حول محورين رئيسيين هما: محور الأنا ومحور الكون؛ تربط بينهم علاقة سببية تكاملية، حيث ولد ركود ورتابة الأحداث الكونية وإفضاءها على الفناء إلى معايشة الشاعر حالتي الفقد والانتظار.

اتشحت المؤشرات التوجيهية بأسلوبي النداء والتعجب متخفيةً وراء سننهم اللغوية؛ مما جعلها ذات وقع أثقل وتأثير أكبر بذات متلقيها.

المراجع:

1. اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، أحمد المتوكل، (2010)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2، لبنان فيها (بيروت).
2. المقاربة التداولية للأدب، إلفى بولان، (2018)؛ تر: محمد تنفو- ليلى احمياني، رؤية للنشر والتوزيع، مصر.
3. للتداولية في البحث اللغوي والنقدي، بشرى البستاني، (2012)، مؤسسة السياب، ط 1، العراق (بغداد).
4. ديوان صلاح عبد الصبور، صلاح عبد الصبور، (1977)، دار العودة، ط 2، م 3، لبنان (بيروت).
5. استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، (2004)، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، لبنان (بيروت).
6. التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة «الأفعال الكلاميّة» في التراث اللساني العربي، مسعود صحراوي، (2005)، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، لبنان (بيروت).
7. آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود أحمد نحلة، (2002)، دار المعرفة الجامعية، مصر.
8. Kerbrat- Orecchioni: Enonciation de la subjectivité dans le langage, (1980) , Armand colin, paris

الهوامش:

[1]_ بشرى البستاني، للتداولية في البحث اللغوي والنقدي، مؤسسة السياب، ط 1، العراق (بغداد)، 2012، ص 35.

[2]_ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة «الأفعال الكلاميّة» في التراث اللساني العربي، دار الطليعة للطباعة والنشر، ط 1، لبنان (بيروت)، 2005، ص 17.

[3]_ إلفى بولان، المقاربة التداولية للأدب، تر: محمد تنفو- ليلى احمياني، رؤية للنشر والتوزيع، مصر، 2018، ص 07.

[4]_ المرجع نفسه، ص 42.

[5]_ Kerbrat- Orecchioni: Enonciation de la subjectivité dans le langage, paris, Armand colin, 1980, p :185.

[6]_ مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب دراسة تداولية لظاهرة «الأفعال الكلاميّة» في التراث اللساني العربي، ص 40.

[7]_ محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2002، ص 47.

[8]_ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، لبنان (بيروت)، 2004، ص 78.

[9]_ محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص 53.

[10]_ إلفى بولان، المقاربة التداولية للأدب، ص 42.

[11]_ أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 2، لبنان (بيروت)، 2010، ص 25.

[12]_ صلاح عبد الصبور، ديوان صلاح عبد الصبور، دار العودة، ط 2، م 3، لبنان (بيروت)، 1977، ص 507.

[13]_ ينظر: المصدر نفسه؛ ص 508.

[14]_ الهادي بن ظافر الشهيري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص 158.

[15]_ صلاح عبد الصبور، ديوان صلاح عبد الصبور، ص 508.

[16]_ المصدر نفسه، ص 510.

[17]_ ينظر: المصدر نفسه، ص 508- 509.

[18]_ المصدر نفسه، ص 509.

[19]_ محمود أحمد نحلة، أفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعة، مصر (الإسكندرية)، 2002، ص 49_ 50.

[20]_ صلاح عبد لصبور، ديوان صلاح عبد الصبور، ص 510.

[21]_المصدر نفسه، ص 511.